

الحياة الأدبية والفكرية في الجزائر القديمة

د. بنت النبي مقدم – جامعة الجزائر 2

المولج*:

الأدب من أدب – أدباً أي ظُرف وكان ذا أدب وأحرز ملكة الأدب فأصبح أديباً، والأدب أدب النفس والدرس، لأنه يعصم من كان فيه عما يُشينه ويرشده إلى كل حميد ويبعده عن كل قبيح، وهو اصطلاحاً علم يحتز به من الخلل في الكلام لفظاً وكتابةً، وبالمعنى الحصري هو مجمل مؤلّفات الفكر البشري المعبر عنها بالأسلوب الفني الجميل¹، وينقسم الأدب إلى الشعر والنثر وما يتفرع منهما من مفردات تختص بها علوم اللغة والصرف، وما يختص بالمركبات من علوم المعاني والبيان والنحو والرواية والخطابة والمسرحية²؛ ولا يمكن لمن يريد السير في ركب أحد فروع الأدب إلا أن يتفكر ويتدبر ويتأمل بالصورة الذهنية لأمر ما، وبهذا نستطيع القول أن الأدب هو جزء من الفكر الذي يمكن اعتباره الكل، هذا الكل الذي ينبثق منه العلم أيضاً والمعرفة سواء كانت معرفة عامية أو معرفة علمية، ويعتبر العلم الإدراك المطلق للتصورات أو التصديقات اليقينية أو غير اليقينية ولا يحدث إلا بالتفكير المنطقي الذي يُمكن من إدراك خصائص الأشياء وعللها، وتكمن علاقته بالمعرفة في كونه يتكون من مجموعة من المعارف التي تتصف بالوحدة والتعميم ويحصل من قضايا جزئية أو كلية تنبثق من عدد محدود من المبادئ والقوانين³؛ وبرأيي أنه

* - Abstract: Ancient history of North Africa, generally, and that of Algeria, specially, was known by famous scientists and personalities who had shone in littérature, oratory, philosophy, and religion. In addition to that, people of that region were culturally and intellectually emulating their peers in the neighboring nations. Thus, we find ourselves obliged to query about the situation of the literary and scientific side of the ancient Algeria, and knowing the important personalities that served the intellectual field, and if those ancient intellectuals had affected the other neighboring nations ?

Keywords: Ancient history- North Africa- Algeria – littérature - oratory- Philosophy.

¹ - ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج1، المجلد 1، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، ص 33

² - محمد احمد سالم، الحياة الدينية والفكرية في قورينائية، منشورات مركز محمد اليبين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2008، ص 216

³ - للإستزادة عن مفاهيم المصطلحات المذكورة أعلاه أنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 2، ص 99: الموسوعة الفلسفية العربية، مج 1، ط 1، ص 608؛ محمد احمد سالم، المرجع السابق، ص 168 – 169

بتعرفنا على المفاهيم وكُنْه المصطلحات نستطيع الخوض في غمار البحث تاريخياً عن كل ما يمكن أن يمت بصلة للفكر في المجتمع الجزائري القديم سواء كان أدباً أو علماً أو حتى معرفة عامية بدائية .

وما حديثي عن المعرفة العامية البدائية إلا لأنه استدرج انتباهي استخدام سكان التاسيلي والهقار والأطلس الصحراوي حسبما تثبته الرسوم الصخرية بتلك المناطق للعربة، مما يدل على تفكيرهم وإدراكهم بعد تفكير للمعرفة الحركية واستغلالهم للشكل الدائري في خلق الحركة للعربة، ومن البديهي أنهم لم يتوصلوا لهذا الشكل إلا بعد الملاحظة والتجربة والتفكير وهاته الخصائص من أسس المعرفة العلمية، ولعل هذا واحداً من الدوافع التي دفعت بجين سبرويت "Jean Spruytte" للبحث في تاريخ العربة الشمال إفريقية وإجراء تجارب لطرق قرن أو ربط العربة بالحيوانات تماماً مثلما صُورت بالرسوم الصخرية بالصحراء وبخاصة تلك المنتشرة بموقع تمجرت بتاسيلي ناجر بالجزائر، وهي المنطقة التي ركز عليها أبحاثه وتجاربته التي دامت ما يقارب 15 سنة سطرها فيما بعد في كتابه¹ الذي تم نشره وتوزيعه سنة 1996، وقد أوضح في نتائج بحثه أن طرق جر العربة وتقنيات ترويض الحيوانات على جرها خاصة حين تكون أكثر من واحد يدل على وصولهم لمستوى متقدم في تقنيات صنع واستعمال العربة، ويؤكد أنه لا بد من "استمرارية البحث والتدقيق في هاته الرسوم الصخرية للبحث فيها عما يرمز لتقنيات أخرى مازالت لم تكتشف"² خاصة أمام انعدام المعلومات في مصادر أدبية أو مادية غير تلك اللوحات الصخرية والتي يبررها سبرويت³ بتخصص الليبيين في تقنيات هذا المجال الحضاري وعدم رغبتهم في الكشف عن أسرار مهنتهم. ويلاحظ أنه ليس سبرويت وحده من يقر بصعوبة حل ألغاز التقنيات المستخدمة لجر العربات والمرسومة باللوحات الصخرية بل يساندّه في هذا الاعتراف باحثين آخرين أمثال غابريال كامبس "G.Camps" ومليكة حشيد⁴

¹ - Spruytte(J). Attelages antiques libyens. Archéologie saharienne expérimentale, éd., Maison des Sciences de l'homme, Paris, 1996, 147 p

² - Ibid, p 33

³ - Ibid, p 95- 96 ; 122

⁴ - Camps (G). Hachid(M), Un quadrigé peint dans la région de Djelfa , in: Les chars préhistoriques du Sahara: archéologie et techniques d'attelage , Actes du colloque de Sénanque , 21-22 mars 1981. Aix-en-Provence, 1982, pp 155-158

ممن تطرقوا لموضوع البحث في تقنية الجر خاصة حين يتم ربط العربة بأربعة حيوانات بمقرن واحد "loug d'encolure" وعريش واحد "Timon"، ويعترف كامبس¹ بصعوبة إنجاز هاته الطريقة التي تبين مدى تطور تقنيات صنع العربة بشمال افريقيا خلال ما قبيل التاريخ.

ومع أننا لا نعرف عن الحركة الفكرية والعلمية خلال عهد الممالك النوميديّة أو العهد القرطاجي ما يمكن الحديث عنه، إلا أننا لا ينبغي أن نتجاهل عملية التفاعل الحضاري وعلميتي التأثير والتأثر بعد الاتصال بين سكان المناطق المجاورة، خاصة إذا علمنا بوجود مكتبات أثارت اهتمام الناس آنذاك والمؤرخين لدى جيرانهم القرطاجيين²، ومدارس فلسفية بقورينائية درّست مزيجاً فكرياً مختلطاً ما بين السقراطيين والسفسطائيين والكلبية وغيرها من المذاهب الفلسفية، واستطاعت المدرسة القورينائية شق نهجها بين بقية المدارس الفلسفية الإغريقية وأن تؤسس مذهباً نفعياً مستقلاً عن التيارات الفلسفية الإغريقية وأن تؤثر حتى في الفلسفة المعاصرة بإقرارها لبعض المبادئ الخلقية³؛ هذا وإذا ما أخذنا دوماً بما ذكره بلينيوس القديم⁴ عن مكتبات القرطاجيين ومن أن الرومان أعطوا بعضاً مما كانت تحويه لبعض الملوك النوميديين، فهذا يمكنه أن يبرر لنا مدى أهمية الكتب وما تحويها من علوم وثقافة لأولئك الملوك.

يعتبر يوبا الثاني الملك العالم الذي حوت مكتبته جزءاً مما كان في مكتبات قرطاجة والذي يتكلم اللاتينية، الإغريقية واليونانية⁵، ويعرف عنه أنه ألّف العديد من المؤلفات التي لم تصلنا أخبارها ومقتطفات عنها إلا من بعض المصادر الإغريقية واللاتينية⁶ وممن اشتهر بعلمه وكتاباته أكثر منه بحكمه ومُلكه⁷ ومع أن الأغلبية يُرجعون ولعه بالثقافة والكتابة إلى تربيته في روما بالبلاط، إلا أنه لا ينبغي أن

¹ - Camps(G), « Les chars sahariens: images d'une société aristocratique », Ant.Afr., t. 25, 1989, p 27

² - Pline l'ancien, H.N. XVIII, 22-23 ; Krings(V).La civilisation phénicienne et punique , manuel de recherche, éd.,Brill , 1995, p 37-38

³ - محمد احمد سالم، المرجع السابق، ص 124، 265

⁴ - Pline l'Ancien , H.N. , XVIII , 22

⁵ - Plutarque , Antonius , 36 ; Pline l' Ancien , H .N , V , 16

⁶ - ساحر نصيرة، "نشاط يوبا الثاني العلمي"، آراء ودراسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة - الجزائر، 23 / 24 ديسمبر 2011 تحت إشراف أ.د. بلقاسم رحاني، صص 262 - 267 ؛ Gsell(S) , H.A.A.N , T.VIII, pp 251-276

⁷ - Pline l'ancien , H.N, V , 1

نستبعد احتمالية وراثته لحب الاطلاع والمعرفة من أسلافه أمثال جده هيمصال الثاني الذي كان يكتب باليونانية عن التاريخ والجغرافيا والذي نقل عنه سالوستيوس حين حديثه عن أصول سكان بلاد المغرب القديم¹، ولقد جعل من شرشال (Caesarea) عاصمة مملكته منذ القرن الأول قبل الميلاد مدينة اهتمت بالفنون والآداب وخاصة بعد استقدامه لفلاسفة وعلماء يونان وخطباء ونحويين، وأصبحت جامعة ومركزاً حضارياً وعلمياً² على غرار جامعة الاسكندرية آنذاك تستقطب الراغبين في حضور دروس ومحاضرات الفلاسفة والخطباء اليونان. اهتمت الأسر قديماً وخاصة خلال العهد الروماني بتعليم أبنائها بغرض الإرتقاء اجتماعياً ولهذا كانوا يرسلونهم للمدارس في حال كانوا متوسطي الحال، أما الأغنياء فيتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خصوصيين³؛ وتشهد النقوش المخلفة والتي ترثي رحيل الأطفال الذين كانوا يدرسون وتوفوا قبل إنهاء المراحل الدراسية كهذا السيوس فوندانوس "Seius Fundanus"⁴ من قالمة (Calama) الذي يبكي ولديه في أبيات شعرية، محاولاً تعريف القارئ لقصيدته بما فعله لأجل ولديه حيث أنه لم يدخر شيئاً لتعليمهما حتى أنه أرسل بهما لمدينة أخرى كي يتلقيا تعليمًا جيداً، إلا أنه لم يستفد من أي منهما.

يبدأ الطفل التعليم الأولي أو ما يوافق لدينا الابتدائي في سن السابعة ويغادره في سن الحادية عشر أو الثانية عشر؛ وفي هاته المرحلة من العمر، الكل يذهب للمدرسة

¹ - Salluste. Guerre de Jugurtha , XVII

² عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلائي في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم-الصورية وتطبيقاتها)، ط 2، دار إدجال، المغرب، 2010، ص 41-42

³ - شافية شارن، بلقاسم رحاني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 261، وللمزيد من المعلومات حول التعليم وتفاصيل اليوم الدراسي والمقررات الدراسية، وكذا حب الأولياء لتعليم أبنائهم والافتخار بذلك وحتى إمكانية استعازتهم الكتب من المكتبات أنظر: نفس المرجع، صص 261 – 263؛

; Marrou(H.I), Histoire de l'éducation dans l'antiquité , Paris, 1948, p 363-364 ; Hamman(A.G), La vie quotidienne en Afrique du nord au temps de SaintAugustin , 2^{ème} édition , éd., Hachette , Paris , 1985, pp 105-113 ; Mansouri(KH), « L'Éducation en Afrique du nord d'après les confessions de Saint Augustin » , L'Africa Romana , Rome 2-4 , , Meggio , 2002 , pp 515-531 ; Salles(C), Saint Augustin., pp 42-50 ; Id, Lire à Rome , Les belles lettres , 3^{ème} édition , Payot et Rivages , 2010, p 185 ; 217 ;Tlili(N),« Les enfants intellectuellement doués en Afrique Romaine » in Que reste-t-il de l'éducation classique?:reire le marrou, histoire de l'éducation dans l'antiquité , Presses Univ. du Mirail, Toulouse, 2004 , pp 155-169

⁴ - CIL, VIII , 5370 ; ILAlg, I , 326 ; Tlili (N) , op.cit , p 158

أولاداً وبنات وبعد انتهاء هاته الفترة، بعضهم يكمل لدى معلم البلاغة وآخرين يدخلون الحياة المهنية بـدكان أو ورشة عمل لتعلم حرفة¹ وفي هذه المرحلة يقتصر التعليم على اكتساب الطفل القراءة والكتابة والحساب² ويعرفنا كتاب المحادثة "Hermeneumata Pseudodositheana" الإغريقي اللاتيني والذي بُدئ في التدريس منه منذ بداية القرن الثالث الميلادي، ببداية اليوم الدراسي للطفل التلميذ، وفيه يروي التلميذ الصغير قائلاً³: « أستيقظ صباحاً مع طلوع الفجر، أنادي على العبد وأمره بفتح النافذة، يفتحها بسرعة وأجلس على حافة السرير، أطلب الجوارب والحذاء بسبب البرد، أنتعل حذائي وأحمل المنشقة بعد أن يتم إحضار واحدة نظيفة لي وماء للغسيل في إناء، أصب على يدي ووجهي وفي فمي، وأنظف أسناني واللثة، ثم أخلع ثوب نومي وأرتدي عباءتي وأضع الحزام، وأعطر الرأس وأمشط، وأضع منديلاً حول عنقي، وألتف في ردائي الأبيض؛ ثم أترك غرفتي بصحبة مرشدي ومربيتي لتحية أبي وأمي، أسلم عليهما وأقبلهما، ثم أبحث عن محبرتي وكتابي، وأسلمهما للعبد وهكذا يصبح كل شيء جاهز، بعد ذلك أخرج من الرواق متبوعاً بمرشدي، وفي بهو أخلع معطفي وأصفف شعري وأدخل ثم أقول " أهلاً أستاذ، يُقبلني ويرد التحية، يُسلمني عبدي لوحتي وأدوات الكتابة ومسطرتي، وأحيي زملائي بعد ذلك: أهلاً أصدقائي وأحياناً أبدأ الشجار مع أحدهم:

أعد لي مكاني

تعالى هنا

إنه مكاني قبلك

أجلس بعد ذلك وأبدأ الدراسة»

هذا المتدريس أو التلميذ الصغير الذي يصوره لنا كتاب المحادثة مرتدياً عباءته وملتفاً في ردائه الأبيض يظهر مجسداً في تمثال الطفل التلميذ الذي عثر عليه أثناء إجراء الحفريات بمسرح مداورس ويبلغ طوله 86 سم وهو حالياً موجود بمتحف

¹- Apulée.Florides , 20;Hamman(A.G),op.cit, p 105 ; Mansouri(KH),op.cit,p 515 ; Salles(C), Saint Augustin., p43

²- St.Augustin , Confessions , I, 1

³-D'après Marrou(H.I) , op.cit, p 363-364 ; Hamman(A.G), op.cit, p 106-107

قائمة، هذا التمثال الذي يشير إليه سارج لانصل "Serge Lancel"¹ على أنه يذكره بالتلميذ الصغير أوغسطينوس أثناء دراسته بمداورش؛ ونشير إلى أن التعليم لم يتغير في العهد الروماني لا بروما ولا بمقاطعاتها منذ عهد كونتليان "Quintilien" وسيسرون "Ciceron"، حيث تتوقف الدراسة في نهاية جويلية لتستأنف في منتصف أكتوبر، ويرافق الأطفال إلى المدرسة العبد "Servus" أو المربي "Paedagogus" الذي يكون في أغلب الأحيان من المعتوقين ليحميه من مخاطر الطريق²، ويعتني به ويضمن رجوعه سالماً غير أنه أحياناً كان يختطف كليهما خاصة بالنسبة للإناث³؛ وعموماً فالتعليم في هاته المرحلة ليست بتلك اللطافة والود التي نعتقدها حين نقرأ النص أعلاه المقتطف من كتاب المحادثة وبخاصة تقبيل المعلم للتلميذ ورده التحية، لأن الأطفال كانوا يجبرون على تعلم الفنون والعلوم بالسوط والعقاب لدرجة أن الواحد منهم يفضل الموت على الرجوع لمرحلة الطفولة والدراسة⁴؛ ويفترض أنه من سن الحادية عشر حتى الخامسة عشر⁵ يكون التلميذ قد انتقل لدراسة النحو.

وكان المقرّر الدراسي يركز على دراسة فرجيل وتيرانس "Terence" وسالوستيوس وسيسرون "Ciceron"، وذلك بدراسة وقراءة بعض النصوص لهم وتفسيرها ومن ثمة القيام بتمارين كتابية وشفوية⁶؛ غير أنه ليس ضرورياً الارتباط بعمر التلميذ للانتقال من مرحلة لأخرى وإنما الأمر يرجع لمهاراته وطموحه ومدى إدراكه واستيعابه

¹ - Lancel(S) , L'Algérie antique de Massinissa à Saint Augustin , 2ème edition , éd., Place des victories , Paris , 2008 , p 230

² - St.Augustin , Serment.,21,4 ; Wolf(C), « À propos des voleurs d'enfants: Saint Augustin, Lettre 10 », L'Africa Romana XV , Tozeur 2002, Roma 2004, pp 1711-1722 ; Salles(C),op.cit , p 43-45

³ - وحسب ج. فاسكو نادرة هي النقوش التي تتحدث عن المرشدين التربويين والمرشدين ونذكر من تلك النقوش ما عثر عليه بنيسة: النقش رقم 3322 بالجزء الثامن من مدونة النقوش اللاتينية والتي تشير للمعتوق كايوس أزياتيوكوس فليكس والثانية أشارت لكورنيليا فورتوناتا وهي النقش رقم 1506 بنفس المدونة

CIL VIII, 3322: Caius Asiaticus Felix, paedagogus ; CIL VIII, 1506: Cornelia Fortunata, paedagoga ; Gascou(J) , « Inscriptions de Tébessa » , MEFR,Vol.,81 n° 2, 1969, p 550 n°3

⁴ - St.Augustin. Conf. : I,9,14 , Id , La Cité de Dieu, XXI, 14

وتشير خديجة منصوري إلى أن طريقة التدريس كانت قائمة حسب اعترافات أو غسطينوس على التلقين الشفهي للتعلم والحفظ وأخذ المعارف عليهم بتلك الطريقة التقليدية القائمة بالقراءة بصوت مرتفع مما يسمح للتلاميذ بطرح الأسئلة والمشاركة بالمناقشة والهدف من هذا شحذ الذاكرة، وعليهم أيضاً ترديد العمليات الحسابية لدرس الحساب من أجل الحفظ؛ وبالنسبة لأسلوب التربية وبيداغوجيا التعلم للمعلم ومعاملته للتلميذ لتلقينه ما يدرسه فهي قائمة على " الطاعة، الإكراه، الضرب، التهذيب، العقاب، الترويع، الهيبة، الخوف والسيطرة " Mansouri(Kh) , op.cit, p 527

⁵ - مع العلم أن هذا السن غير معمم على الجميع لأن الانتقال من مرحلة لأخرى مرتبط بمستوى الطالب وطموحه Ibid , p 516

⁶ - Marou(H.I),op.cit , pp 370-379

لما يدرس وكذا تخطيط والديه وقدرتهما المالية لمساعدته على إتمام دراسته بالمراحل الثلاث، إذ نجد أنه في حين كان أوغسطين يُدرّس في سن التاسعة عشر كان غيره لا يزال لم ينه مرحلة المدرسة بعد¹، ويفترض أن المرحلة الثالثة مخصصة لدراسة علم البيان، القانون، الفصاحة، التاريخ والفلسفة ومختلف العلوم ومثل هذا التعليم لم يكن موجوداً إلا بقرطاج ومداورث ومكتر²، وعلى الدارس لاحقاً وفور إنهائه لتحصيل الدروس القيام ببحث تاريخي أو قانوني لحل مشكل من المشاكل الحياتية المعاشة والشائكة، ويتوجب على الطلبة أن لا يختاروا الموضوع نفسه .

ومن أهم المدارس التي كانت موجودة بالجزائر القديمة نذكر مدرسة شرشال (Caesarea)، تبسة (Théveste)، سوق اهراس (Thagaste)، مداورث (Madauros)، قسنطينة (Cirta) وعنابة (Hippo Regius)³، وتجدر الإشارة إلى أن الكنيسة لم تهتم بإنشاء مدارس مسيحية في هاته الفترة ولكنها ركزت على دور الأسرة التكميلي في التربية الدينية وترسيخ العامل العقائدي لدى أبنائها، حتى يستطيعوا مجابهة الوثنية وتقاليدها⁴؛ وقد تعرض تارتوليانوس⁵ لموقف المعلم المسيحي من المدارس الوثنية الذي ينبغي أن يتحلى بالشجاعة ولا يُدرّس فيها حتى لا يضطر للمشاركة في حفلات منيرفا ولا يتعرض لذكر المعبودات الوثنية غير أن التلميذ يتوجب عليه تلقي المعرفة وثقافة المدرسة ولكن بحذر، خوفاً من التأثير بسموم التعليم المليء بطقوس الوثنية.

غير أننا نلاحظ أن الحياة الأدبية والعلمية الثقافية بمدن الجزائر القديمة لم يساعد في تنشيطها فقط المدارس ودفع الأولياء بأبنائهم للتعليم، وإنما إلقاء الخطب

¹ - St. Augustin, Conf., IV, 4, 7 ; Marrou (H.I), op.cit , p 64 ; Mansouri (Kh) , op.cit, p 516-517

² - Hamman (A.G) , op.cit , p 111

³ - عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، صص 41 - 47 .

⁴ - Boissier (G), La fin du paganisme , T.I, Paris , 1898, p200-201

⁵ - اتفق أغلب رجال الكنيسة مع تارتوليانوس فيما يتعلق بتعليم الأطفال وضرورة تعلمهم ولكنهم خالفوه الرأي Tertullien, De Idolatrie , X ;

بشأن تحريم عمل المعلم بالمدارس الوثنية لأنه يستطيع التعامل مع الكتاب المدرسي بفضيلة وخلال شرحه لتلك النصوص والأشعار الوثنية يستطيع انتقادها والتشكيك فيها ؛ وبعد إصدار قانون 17 جويلية 362 م من قبل الامبراطور يوليان منع المعلمين المسيحيين من التدريس بحجة أن أساس التعليم الصدق والتحليل المنطقي والصريح لكل ما يُدرّس، إضافة إلى ضرورة الحفاظ على كفاءة وأخلاق المدرسين، والمسيحي الذي يُدرّس ما لا يؤمن به يفقد الجرأة والصراحة ولهذا يتوجب عليه إما الارتداد عن دينه أو التخلي عن التدريس ولم يطبق هذا القانون إلا على المعلمين أما التلاميذ من أسر مسيحية فلم الحق في ولوج المدارس الوثنية ؛ ومن أولئك المعلمين الذين تضرروا من هذا القانون فيكتورينوس معلم البيان الذي أشار إليه أوغسطينوس على أنه فضل التخلي عن وظيفته بدلاً من عقيدته.

St. Augustin, Confessions, VIII, 5 ; Boissier (G), op.cit , p 201; Marrou (H.I), op.cit, p 429

والمحاضرات أيضاً من قبل بعض الخطباء والفلاسفة المشهورين أمثال فرونتون بقسنطينة أو أبوليوس بمداورش أو أوغسطينوس بعنابة وغيرهم مثلما سنتطرق لبعض منهم لاحقاً وكذا توفر بعض مراكز الإشعاع الثقافي ببعض المدن كالمكتبات مثل مكتبة تيمقاد¹ التي بنيت أثناء القرن الثالث الميلادي* على نفقة السيناتور يوليوس كوينتيانوس فلافيوس روغاتيانوس " Julius Quintianus Flavius Rogatianus" الذي منح 400000 سيسترس لبنائها باعتباره واحداً من أغنياء المدينة، أو مثل مكتبة أوغسطينوس² الكنسية بعنابة " Bibliotheca ecclesiae hipponensis" التي كانت تحوي مجموعة هامة من الكتب الخاصة ولكنها لم تكن تفتح إلا لضيوف الأسقف أو رجال الدين، على عكس مكتبة الدير بعنابة التي كانت مخصصة للمطالعة من قبل المسيحيين والمسيحيات الراغبين في ذلك .

وحسبما يبدو فقد نبغ أبناء الجزائر القديمة في الأدب والعلوم وكل ما يتعلق بمظاهر الفكر العقلاني، ولا يعني جهلنا وعدم معرفتنا لإنتاجهم الفكري والعلمي أنهم لم ينجزوا ويساهموا في بناء حضارات العالم القديم، وما كتاباتهم بلغات العالم القديم والمعروفة آنذاك، وقدرتهم على السفر وتتبع خطوات العلم حيثما وجد لنيل البراعة العلمية والفكرية والمعرفة البلاغية والشهرة الخطابية إلا دليلاً على قوتهم وعظمتهم وقدرتهم على التأثير في غيرهم ؛ ويعتبر بول مونصو " P.Monceaux " من الأوائل الذين درسوا في نهاية القرن التاسع عشر الحركة الأدبية والفكرية بشمال افريقيا القديم، وبناءً على دراساته يمكن تقسيم العصور الأدبية لفكر شمال افريقيا القديم إلى ثمانية عصور³:

¹ - Tlili(N) , « Les bibliothèques en Afrique romaine » , in Dialogues d'histoire ancienne , 26/1, 2000 , pp 158 – 160 ; Salles (C), « Vie culturelle et littéraire dans l'Afrique romaine » in l'Afrique romaine de 69 à 439 , Questions d'histoire: Histoire ancienne , Romanisation et christianisation , ouvrage collectif cordonné par Bernadette Cabouret , éd.,Temps , 2005 , p 266

* - بالنسبة لتاريخ بنائها يعتقد روني كانيا "René Cagnat" أنها بنيت في نهاية القرن الثالث الميلادي في حين يذهب آخرون إلى أنها بنيت سنة 250 م، عن هذا أنظر :

Cagnat(R), « Les Bibliothèques municipales dans l'empire romain » , CRAI,38 ,1, 1909 , pp 1 – 26 ; Tlili(N),op.cit, p159 n°38

² - Saint Augustin , Lettre 231(429 ? adressée au Compt Darius) ; Tlili (N) , op.cit , p 163

³ - Monceaux(P), Les Africains:études sur la littérature latine d'Afrique (Les païens) , éd., Oudin et Cie, Paris , p 37 ; 128-129

- 1 -العصر البوني ويمتد من القرن 6 ق. م حتى القرن 2 م، وهو عصر قرطاج التي اشتهرت وعرفت بمكتباتها الغنية، وبعض المؤلفات والكتب كرحلة حانون، وكتاب هاملكون الذي اعتمد عليه يوبا الثاني في الحديث عن تاريخ بلاد المغرب القديم ومؤلفات هيمصال الثاني وكتب ماغون القرطاجي عن الزراعة.
- 2 – العصر الإغريقي مثله مثل العصر البوني امتد من القرن 6 ق. م حتى القرن 2 م، وهذا العصر لم يعرف فقط إشعاع المدارس القورينائية بل أيضاً مع عهد يوبا الثاني أصبحت شرشال مدينة العلم والفلسفة.
- 3 – العصر اللاتيني وامتد طيلة القرن الأول الميلادي، واشتهر خلاله ترنتيوس والعالم الفلكي مانيليوس.
- 4 – عصر أبوليوس من مداورث، وممن عرف خلال القرن الثاني الميلادي فرونتون من قسنطينة وتارتوليانوس من قرطاج وغيرهم.
- 5 – عصر الأباطرة الأفارقة من السفيريين والغورديين، استمر في هاته الفترة نونيوس ماركيلوس في النحو وفي الشعر نيمسيانونس ومنيكيوس فليكس والقديس كبريانوس من قرطاج وأرنوب ولاكتانس وغيرهم.
- 6 – عصر القديس أوغسطينوس الذي عرف بنشاط الكتابة في الدين وفلسفة الدين في نهاية القرن الرابع الميلادي وبداية الخامس الميلادي، وقد اشتهر خلاله بعض الكتاب من رجال الدوناتية وبعض المؤرخين أمثال أوريليوس فيكتور.
- 7 – العصر الوندالي والذي يبدأ بدخول الوندال لبلاد المغرب القديم سنة 429 م، وممن عرف في هذا العصر الطبيب كاسيوس فليكس وكايليوس أوغليوس والشاعرين لوكسريوس ودركونتيوس وصاحب الحوليات فيكتور الفيتي والنحوي فولجنس.
- 8 – العصر البيزنطي والذي امتد طيلة القرن السادس الميلادي حتى دخول العرب الفاتحين إلى قورينائية سنة 642 م وبيزاسينا جنوب تونس سنة 665 م وقرطاج سنة 695 م، ومن أشهر من برز في الكتابة بهذا العصر برسيان القيصري ويوليانوس وفيكتور التونسي وكوريوس.

أما محفوظ قداش¹ رحمه الله حين دراسته للأدب النوميدي – الموريطاني، فيشير إلى أن أغلب المفكرين في الجزائر القديمة كانوا خطباء ومؤلفين ويقسمهم إلى قسمين:

- 1- المؤلفون الوثنيون ويذكر منهم فرونتون وأبوليوس.
 - 2- المؤلفون المسيحيون ويحدددهم في لاكتانس وأوبتا وبتيليانوس وغودنتيوس وإيميريوس والقديس أوغسطينوس.
- ويتميز الكاتب الإفريقي عن غيره من الأجناس الأخرى " بالخيال الخصب والحساسية المؤثرة وروح المبشر والباحث عن الإقناع والهدى، والكل يترجم في أسلوب تأخذ فيه الصورة والغلو والمبالغة مكانة كبيرة"²، وهذا يعني أنه يميل للصورة أكثر من الفكرة وتجلب انتباهه الألوان أكثر من الأشكال، والمقصود أنه ميال للخيال والخرافة أكثر من الواقع والمنطق³، ولكن لا يمكن تطبيق هاته الخصائص على كل المفكرين والأدباء من أبناء الجزائر القديمة لأن بعضهم مارس التفكير البرهاني في الرياضيات وفي المنطق الصوري وفي الجغرافيا الرياضية وغيرها⁴، وهو ما سنراه لاحقاً مع بعض ممن سنتعرض لهم من مشاهير الجزائر قديماً في الفكر والأدب والذين نذكر منهم:
- 1 – بولبيوس أنيوس فلوروس "Publius Annius Florus" المعروف بفلوروس، ولد سنة 70 م وتوفي سنة 140 م، يعرف أنه من إفريقيا ويذكر جيلبار ميني⁵ أنه أصيل قسنطينة (Cirta)، هذا الأصل الذي منعه من الحصول على جائزة الألعاب الكابيتولية في الشعر، بعد فوزه في المسابقة سنة 86 م في عهد الامبراطور دوميسيانوس (81 – 96 م)، وبأمر من الامبراطور منحت الجائزة لمشارك آخر مما دفع بفلوروس للخروج من روما غاضباً⁶؛ ويبرر البعض غضب الامبراطور لكونه لم يُردأن تحصل إفريقيا على الجائزة لأنه في تلك السنة قام الزامون بقتل مبعوثي الامبراطور لجمع الضرائب، الأمر الذي اضطر الليغاتوس سويليوس فلاكوس

¹ - محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، صص 207 – 214

² - نفس المرجع، ص 207.

³ - Monceaux(P), op.cit , p 90 – 92.

⁴ - عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 58.

⁵ - Meynier(G) , L'Algérie des origines de la préhistoire à l'avènement de l'islam , éd., La découverte , Paris , 2007, p 132.

⁶ - Désanges (J), « Sur un episode de la vie du poète Africain P.Annius Florus » , BCTHS, fasc.,24, p 84 ; Meynier(G) , op.cit , p132 ; Salles(C), Lire à Rome. , p153.

"Cn.Suellius Flaccus"¹ لقيادة حملة ضدهم انتهت بقتل الكثير منهم وفرار من بقي من هذه القبيلة نحو الجنوب .

وأما فلوروس فبعد مغادرته لروما اتجه نحو صقلية، ثم كرات وبعدها الرودس، ثم غادرها باتجاه مصر السفلى ليرجع مرة أخرى منها لإيطاليا ثم اتجه صوب الألب نحو غالاً ومنها انطلق نحو البريني ويشير في حديثه عن هذا الأمر إلى أنه بعد أن انتزع منه تاج النصر ومن يديه ومن على رأسه غادر روما حزينا، وقد دفعه الشجن لينسى وطنه ووالديه العزيزين، وظل تائهاً في مختلف نواحي العالم²، ولكن يبدو أن هذا اللاتوازن النفسي الناتج عن انتزاع الفوز في مسابقة الشعر لم يمنعه من اتخاذ مهنة التدريس للأطفال والتي أدرك فيما بعد من خلالها أن تدريس الآداب مهنة نبيلة³، ولا من أن يصبح من أشهر خطباء الامبراطورية والشاعر المفضل في محيط الامبراطور هادريانوس (117 – 138 م)، ومن أشهر مؤلفاته كتابه "المختصر في تاريخ الرومان" وفيه يتعرض فلوروس لتاريخ الرومان منذ عهد رومولوس إلى غاية فترة أوغسطس، ولم يكتف بسرد الأحداث بل يحاول استخراج فلسفة الأحداث ولذلك يعتبره البعض⁴ أمثال مونتسكيو "Montesquieu" (1689 - 1755) وبوسني "Bossuet" (1627 - 1704) مؤسس فلسفة التاريخ .

2 – فرونتون " Marcus Cornelius Fronto " من قسنطينة (Cirta)، ولد حوالي 95 م أو 100 م وتوفي حوالي 170 م أو 180 م ؟، درس في قسنطينة بنوميديا ثم انتقل لقرطاج وبعدها لروما، أصبح خطيباً مشهوراً في روما كما عمل أيضاً محامياً وكُلف بالتدريس لابني أنطونينوس التقي سنة 139 م، أصبح قنصلاً سنة 143 م مثلما تذكر نقيشة قائلة⁵، ومن أشهر تلامذته الامبراطورين ماركوس أوريليوس " Marcus Aurelius " (161 – 180 م) ولوكيوس فيروس " Lucius Verus " (161 – 169 م) ويرى البعض أن كتاباته ليست بالمبدعة أو من تلك التي تحتوي أفكاراً لا نظير لها

¹ - Désanges (J), op. cit , p 85 ; Rachet(M) , Rome et les berbères ., p 153-154; Benabou(M) La Résistance Africaine à La romanisation , p 105.

² - Florus, Vergilius, in Œuvres ,texte établi et traduit par P.Jal ,éd.,C.U.F, Paris , 1967, I , 9 d'après Salles(C),op.cit, p 153,258

³ - Florus, Vergilius , III, 3-4 d'après Désanges (J) , op.cit , p 84

⁴ - عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 68 ; pp 199-204 d'après Monceaux(P), op.cit ,

⁵ - ILS, 2928 CIL VIII, 5350

وشهرته كلها راجعة لكونه درس لماركوس أوريليوس¹، أغلب ماكتبه ضاع ولم يبق غير شذرات من بعض المراسلات والخطب خلف بعده مجموعة من الرسائل التي كان يتبادلها مع أونطينيوس التقي "Antoninus Pius" (138 – 161 م) وماركوس أوريليوس ولوكيوس فيروس والمؤرخ أبيانوس وآخرين غيرهم من السيناتوريين والمشاهير آنذاك، ويرجع تاريخ تلك الرسائل لفترتين مختلفتين²، بعضها كتبت ما بين 139 – 145 م أي حين كان لا يزال معلماً، والمجموعة الثانية من الرسائل يمكن تأريخها بالفترة الممتدة بين 161 و165 م أي خلال شيخوخته .

وتضم هاته المراسلات خمسة كتب من الرسائل لماركوس أوريليوس القيصر، وكتابين له بعد أن أصبح امبراطور، كتاب كتابان لفيروس حين أصبح مبراطوراً، واحد لأنطونينوس³، كتابان يتعلقان برسائل الأصدقاء "Ad amicos"، في الكتاب الأول نجد 24 رسالة مرتبة كلاتي حسبما وجدناه بترجمة أرماند كاسان "Armand Cassan"⁴ لرسائل فرونتون وأصدقائه التي كتبها باللاتينية:

I - إلى كورنيليوس سفيروس "Cl.Sévérus".

II - إلى لوليانوس أفيتوس "Lollianus Avitus".

III - إلى فيكتورينوس "Victorinus"**.

IV - إلى أكريليوس بلاريانوس "Accrilius Plarianus".

V - إلى كورنيليوس يولييانوس "Cl.Iulianus".

VI - إلى أفيدوس كاسيوس "Avidius Cassius".

VII - إلى أفيدوس فيكتورينوس "Aufidius Victorinus".

VIII - إلى باسينوس روفوس "Passiénus Rufus".

¹ - Le Bohec(Y), Histoire de l'Afrique romaine, 146 avant J.-C.-439 après J.-C., éd., Picard, Paris, 2005, p 170

² - Monceaux(P), op.cit, p 82

³ - Ibid

⁴ - Ad amicos, Livre I et II (letters en latin) in Lettres inédites de Marc Aurèle et de Fronton traduites avec le texte latin en regard des notes par M.Armand Cassan, Tome second, éd., A.Levavasseur, Paris, 1830, pp 229-301

** - فيكتورينوس هذا هو صهره زوج ابنته، والرسالة المتعلقة بحفيده المتوفي التي أرسل بها للامبراطور ماركوس أوريليوس رداً على رسالة هذا الأخير التي أرسلها لفرونتون ليعزيه فيها تتعلق بـ فيكتورينوس زوج ابنة فرونتون لأنه هو من كان يريه، ويظهر ذلك من رسالة أخرى أرسل بها لفكتورينوس ليخبره عن حال ابنه والألعاب التي يجيها وما يفضل أكله، وما يتصف به هذا الطفل ومالذي يريده فرونتون أن يشب عليه.

- IX - إلى كإليوس أوبتاتوس "Caelius Optatus".
- X - إلى بترونيوس مامرتينوس "Pétronius Mamertinus" ***
- XI - إلى فيليوس روفوس "Vélius Rufus Senex".
- XII - إلى أوفيدوس فيكتورينوس "Aufidius Victorinus".
- XIII - إلى فيكتورينوس "Victorinus".
- XIV - إلى فيكتورينوس "Victorinus".
- XV - إلى برايكيليوس بومبيانوس "Praecilius Pompianus".
- XVI - إلى برايكيليوس بومبيانوس "Praecilius Pompianus" XVII - إلى كورنيليوس يولييانوس "Cl.Iulianus".
- XVIII - إلى كورنيليوس يولييانوس "Cl.Iulianus".
- XIX - إلى فولفيانوس "Fulvianus".
- XX - إلى ساردوس ساتورنينوس "Sardius Saturninus".
- XXI - إلى يونيوس ماكسيموس "Iunius Maximus".
- XXII - إلى ساردوس ساتورنينوس "Sardius Saturninus".
- XXIII - إلى يونيوس ماكسيموس "Iunius Maximus".
- XXIV - إلى سكيلا غالكانوس "Squilla Gallicanus".
- أما بالكتاب الثاني فنجد 10 رسائل، كتبت أيضا باللاتينية وترتيبها كالآتي:
- I - إلى فلومنيوس كوادراتوس "Volmnius Quadratus".
- II - إلى فلومنيوس كوادراتوس "Volmnius Quadratus".
- III - إلى فلومنيوس كوادراتوس "Volmnius Quadratus".
- IV - إلى كورنيليوس ريبنتينوس "Cornélius Répantinus".
- V - إلى آريوس أنطونينوس "Arrius Antininus".
- VI - إلى آريوس أنطونينوس "Arrius Antininus".
- VII - إلى آريوس أنطونينوس "Arrius Antininus".
- VIII - إلى آريوس أنطونينوس "Arrius Antininus".
- IX - إلى قضاة المستوطنات والبلديات "Illviris et decurionibus".

*** - باترينوس مامرتينوس هو والد زوج ابنة ماركوس أوريليوس.

X - إلى قضاة المستوطنات والبلديات "Ilviris et decurionibus"

في حين نجد أربعة رسائل كتبت بالإغريقية وهي كالتالي:

I - إلى هيرودايوس أتيكوس "Hérodès Atticus" ؟**

II - إلى فرونتون من أبيانوس .

III - إلى أبيانوس من فرونتون .

IV - إلى أبولونيدياس "Apollonidès" .

ومن مخلفات فرونتون أيضاً مقتطفات من كتاب حول حرب البارثيين، وآخر عن أولويات التاريخ "Principia Historiae" ويتعرض فيه لحملة لوكيوس فيروس على الشرق، ولديه وثيقتين الأولى عبارة عن خطاب عن البلاغة والأخرى عن الخطاب وكلاهما أهديتا لماركوس أوريليوس¹، كما ترك بعض المقتطفات البلاغية التي يظهر فيها التلاعب بالألفاظ الأدبية² في عناوين الخطب مثل: خطاب عن الإهمال "Neglegentiae"، وآخر عن الدخان والغبار "Fumi et Pulveris"، وآخر عن الجنس "Eroticos"، كما كتب عن مغامرة أريون "Arion"، وعن العطلة في ألسيوم "Alsium" ؛ وعموما ورغم اهتمام فرونتون بالبلاغة أكثر من أي شيء آخر إلا أن مراسلاته وخطبه وكتبه تفيدنا ليس أدبياً فقط وإنما أيضاً من الناحية التاريخية، من حيث أنه يمكن اقتباس معلومات عن حياة ماركوس أوريليوس واهتماماته، وعن طريقة تربية الأمراء في البلاط الامبراطوري، وعن بعض حروب الرومان، وحتى عن العلاقات الإنسانية في الوسط العائلي التي يمكن استقراءها من رسائل فرونتون مع صهره، واهتمامه باختيار الزوج المناسب لابنته كي يسعدها مدى الحياة، ونظرة فرونتون للتربية وضرورة التواصل مع الأطفال والاهتمام بتدريسهم ليصبحوا ناجحين، كما يحاول أن يثير الجدل بمقارنه المواضيع الحياتية الكبيرة المثيرة للجدل بتلك الأشياء التي قد نراها تافهة ولا تثير الانتباه كما يظهر من خلال خطابه عن الدخان والغبار .

3 - أبوليوس "Lucius Apuleius Theseus" من مداورش (Madauros): ولد سنة 125 م بمداورش المتاخمة لنوميديا وجيتوليا، ولهذا قال عن نفسه أنه نصف

** عبارة عن رسالة تعزية ويشير أرماند كاسان في ملاحظة بالصفحة 302 من نفس الكتاب أن م. نيبوهر "M.Niebuhr" يعتقد أنها قد تكون موجهة لهرودايوس أتيكوس.

¹ Monceaux(P), op.cit , p 83

² Le Bohec(Y) , op .cit , p 170

نوميدي نصف جيتولي، من أسرة غنية ووالده من أعيان المدينة، ورث منه بعد وفاته 200.000 سيسترس، درس بمسقط رأسه وأكمل دراسته بقرطاج وسافر لأثينا ثم روما التي قضى بها سنتين ومن ثمة رجع لمداورث ولكنه قرر الرحيل للإسكندرية غير أنه توقف بطرابلس بسبب مرضه، وهناك تزوج من والدة صديقه بونتيانوس "Pontianus" الأرملة الغنية، التي حصل منها على 300.000 سيسترس¹، ورغم ما تركه من مؤلفات علمية وفلسفية إلا أنه اشتهر بكتابه التحولات "Metamorphoseon" أو الحمار الذهبي والتبرير أو الدفاع "Apologia"، ومن خلال هاذين الكتابين يمكننا القول أنه فعلاً "شاهد على عصره"².

بالنسبة للتحولات أو بمثل ما اشتهرت عليه أيام القديس أوغسطينوس الحمار الذهبي "Asinus aureus" رواية وردت في 11 كتاباً، تتحدث عن الشاب لوكيوس الذي تحول إلى حمار وعاش الكثير من المغامرات مرتحلاً من منطقة لأخرى بين أناس مختلفي الطباع؛ أما الدفاع فهو مرافعة قانونية للدفاع عن نفسه ورد تهمة السحر التي اتهم بها بزواجه من إيميليا بيدونتيل "Emilia Pudentilla" الراضية لمن سبقه ممن تقدم للزواج منها، تتسم بالبلاغة الخطابية والجرأة في السخرية من خصومه؛ ومن مؤلفاته الأخرى أيضاً نجد الأزاهير "Florides" في أربعة كتب³، يحتوي الكتاب الأول منها تسع خطب، والثاني ست خطب، والثالث ثلاث خطب أما الرابع فست خطب⁴، وفي مجملها تظهر مدى براعته البلاغية ومعلوماته الموسوعية التي يمكنه بها شد انتباه المستمعين وإثارة إعجابهم.

¹ - Ibid , p 170-171 ; Id, « Apulée et les sciences dites exactes » , Africa Romana , 11, 1 , 1996 , p 59-69

² - محمد الحبيب بشاري، " أبوليوس شاهد على عصره "، حولية المؤرخ، العددان 11 - 12، السداسي الأول 2011، صص 19 - 59

³ - حسب أغلب الطباعات التي صدرت لها باستثناء طبعة 1842 التي تناولت ترجمة الأزاهير للفرنسية في 24 فقرة:

Pétrone, Apulée, Aulu-Gelle, Œuvres complètes avec la traduction en français publiées sous la direction de M.Nisard , éd.,

J.J. Dubochet et Compagnie, Paris, 1842

⁴ - لمعرفة المزيد حول مؤلفات أبوليوس أنظر: أبو العيد دودو، لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي - أول رواية في تاريخ الإنسانية، الطبعة الثالثة، منشورات الاختلاف، 2004، صص 10 - 29؛ عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 112 - 119 ؛ Lancel(S),

op.cit, p 204 – 206

ومن مؤلفاته الأخرى نذكر عن إله سقراط "De deo Socratis" ¹ وفيها يتحدث عن الأرواح أو الشياطين التي تعمل كواسطة بين الآلهة والبشر وهي تشبه البشر في رغباتهم وشهواتهم ولكنها خالدة مثل الآلهة، ويرى أن لكل واحد من البشر شيطان بما فيهم سقراط الذي كان يستمع لشيطانه بكل احترام، وينهي رسالته هذه بالدعوة لدراسة الحكمة التي ترقى بصاحبها عن كل منكر؛ أما عن مذهب أفلاطون "De dogmate Platonis" فورد في ثلاثة كتب، الأول تناول فيه حياة أفلاطون وآرائه الفلسفية، وبالثاني الفلسفة الأخلاقية وما تحدثه الفضيلة والرذيلة وعن الصداقة وعن الحب وأنواعه وحتى عن علاقة العدالة بالبلاغة والسياسة وعن المدينة الفاضلة وخصائها، في حين بالثالث تكلم عن العقل والمنطق الصوري ² ويركز على ما يسعى في الفلسفة بالقضايا الإخبارية والقياس الحملي؛ وبحديثه عن العالم "De Mundo" ³ نستطيع التعرف عن المستوى الذي وصلت إليه العلوم في القرن الثاني الميلادي فيما يتعلق بالنجوم والمحيطات القارات وحدودها والظواهر الطبيعية . وتجدر الإشارة إلى بعض كتبه التي لم تصلنا ولم نتعرف عليها إلا من خلال بعض المؤلفين القدماء ⁴ كمؤلفه في الحساب بعنوان أريتميتيكا "Arithmetica" وآخر في الفلك "Astronomica" وكلا الكتابين ذكرهما إيزودورس "Isidorus" وكاسيودورس "Cassiodorus" وكتب في الزراعة ذكرها سارفيوس "Servius" وفوتيوس "Photius"، كما درس الأمراض العصبية والصرع وممارسة التنويم المغناطيسي ودون نتائجه التجريبية في كتاب عن الفيزيولوجيا والطب "Medicinalia" ذكره بريسيان "Priscien"، أما في الفلسفة فنجد الحوار "Dialogus" وترجمة لاتينية لمحاورة فيدون، وإراتيكوس "Eraticos" والجمهورية "De republica" .

يركز الباحثين والمؤرخين على أن تميز وإبداع أبوليوس تمثل في روايته التحولات أو الحمار الذهبي بشكلها سواءاً الأدبي الذي يناسب كل عصر باستكمال له المعالم الرواية

¹ - Apulée , Du dieu de Socrate , dans Œuvres complètes avec la traduction en français publiées sous la direction de M.Nisard , éd.J.J. Dubochet et Compagnie , Paris , 1842

² - Ibid , p 149

³-Ibid, pp185-202

⁴ - Isodorus. Origine , III,2 ; Cassiodorus ,De Arithmetica ; Priscien , Gram Lat., II, p 511 ; Lydos, De Magistr., 115 - 113 ص , المرجع السابق , ص III,64 ; Fulgentius, Exposit.Sermon,Antiq.,p396 ;

والبراعة في رسم الحبكة والأحداث الدرامية، وأما تاريخياً فهي تخبرنا بالكثير من المعلومات الاجتماعية والإقتصادية وحتى الفكرية والدينية عن القرن الثاني الميلادي؛ ومع تركيزهم على الجانب البلاغي والخطابي لأبوليوس تناسوا إبداعه في الجانب الفلسفي، حيث أنه أول من قدّم مربع تقابلات القضايا الحملية، مع العلم أنه قسّم القضايا حسب الكيف إلى حملية "Predicativa" وشرطية "Substitutiva"، أما حسب الكم فقسمها إلى ثلاثة أنواع: الكلية – الجزئية – المهمة، واهتم بالأولى والثانية وقسمهما بحسب الكيف إلى موجبة وسالبة فأنتج أربع قضايا حملية وهي:

الكلية الموجبة ← الجزئية الموجبة

الكلية السالبة ← الجزئية السالبة

وبهذا المربع أضاف أبوليوس لما ذكره أرسطو حول العلاقة بين القضايا¹، فأرسطو تعرض لعلاقات التناقض والتضاد والدخول تحت التضاد، أما أبوليوس فقد أضاف بهذا المربع علاقة التداخل ووضع لها قوانين، ويحدث التكافؤ أو العلاقة المنطقية بين قضية ما ونقيض تلك القضية، ويتخذ مثلاً على ذلك بإدخال النفي على الكلية الموجبة "كل لذة خير" لتصبح "ليست كل لذة خيراً" وتكون هاته الأخيرة صادقة بصدق الجزئية السالبة "بعض اللذة ليس خيراً" التي هي نقيض الأولى حسب مربع التقابلات.

4 - بولبيوس فلافيوس بيدونس بومبيانوس " P.Flavius Pudens " Pomponianus² من مدينة تيمقاد، يدعى أيضاً بفوكونتوس "Vocontius"²، عاش في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي، من معاصري ألكسندر سفروس³ ومن نحويي تيمقاد الذين بلغوا مرتبة اجتماعية مرموقة حيث عثر على نقيشة تشريفة

¹ - نفس المرجع، ص 121 - 127

² - كوري يشير بول كوريبي إلى أن هناك شخصين بنفس الاسم بولبيوس فلافيوس بومبيانوس عاشا في نفس الفترة خلال عهد السفيريين، أحدهما هو النحوي المدعو بفوكونتوس والثاني هو السيناتور ابن الكاهنة مانليا بيدونتيللا المعروف بمهامه العسكرية Corbier(P), « Ciucul , une ville moyenne prospère sous les Antonins et les Sévères », in H.-G. Pflaum, un historien du XXe siècle: actes du colloque international édités par , Demougin(S), Lorient(X), Cosme(P) et Lefebure(S) , Paris les 21, 22, 23 octobre 2004, éd., Librairie Droz, Genève , 2006 , p 67-68

² - Leschi(L),« Découvertes récentes à Timgad: Aqua Septimiana Felix », CRAI , 1947 , n°1 , p 96

³ - Pflaum(H-G),« Epigraphie latine imperial », Ecole pratique des hautes études , 4è section , Sciences historiques et philologiques , Annuaire 1973-1974 , p 272-274

له بفوروم تيمقاد تصفه بكونه منبعاً للبلاغة، إلا أنه غير معروف أنه درّس النحو والبلاغة¹؛ والده السيناتور فاليريوس ماكسيموس "L.Valerius Maximus"، أما والدته فهي الكاهنة مانليا بيدونتيللا "Manlia Pudentilla"²، تزوج من مارسيا كايليا بروسيلا "Marcia Caelia Procilla" ابنة الكاهن كايليوس ساتورنينوس "M.Celius Saturninus" والكاهنة فلافيا بروسيلا "Flavia Procilla" التي أصبحت كاهنة "Flaminica" بتيمقاد حسبما تظهره إحدى النقوش³ التشريعية لها.

5 - أرنوبيوس "Arnobius": يدعى بالقديم للتفرقة بينه وبين أرنوبيوس الشاب الغالي الأصل الذي عاش خلال القرن الخامس الميلادي حوالي 460 م، في حين أرنوبيوس القديم والذي نحن بصدد الإشارة إليه عاش خلال القرن الثالث الميلادي⁴، لا يعرف الكثير عن حياته، يعتقد أنه أصيل مدينة تبسة (Théveste) بسبب تلك النقوشة⁵ المنقوشة على قاعدة حجرية تشبه المذبح والتي عثر عليها غرب المدينة على بعد كيلومترين؛ ولا يستبعد أنه الوحيد ببلاد المغرب القديم كله الذي حمل هذا الإسم، هو واحد من معلمي لاكتانتوس الذي سنتحدث عنه لاحقاً، أشار القديس جيروم⁶ إلى أنه في عهد ديوقليسيانوس كان يُدرّس البلاغة ببراعة كبيرة بمدينة الكاف "Sicca Veneria" وإلى أنه تنصر بسبب أحلامه، وتنبغي الإشارة إلى أن أرنوبيوس لم يتحدث عن أسباب تنصره خاصة وأنه ظل وثنياً حتى بلغ الستين من عمره، ولكن لا يستبعد أن تفكيره المنطقي وبقظة ضميره هي التي دفعته لذلك

¹ - CIL VIII, 2391=17910 = ILS, 2937= AE, 1895, n°111 ; Picard(G-CH), La Civilisation de l'Afrique romaine, 2^{ème} édition, Paris, 1990, p 257 ; Briand-Ponsart(C), « Thugga et Thamugadi: Exemples de cités Africaines » in Les élites et leurs facettes: Les élites locales dans le monde hellénistique et romain (Le colloque s'est tenu à Clermont-Ferrand du 24 au 26 novembre 2000). Textes réunis par Cébeillac-Gervasoni (M) et Lamoine (L), éd., Press univ Blaise Pascal, France, 2003, p 252

² - Doublon(H), « Flaminat et société dans la colonie de Timgad », Ant.Afr., 15, 1980, p 195

³ - CIL VIII, 2404 ; Doublon(H), op.cit, Tableau I note b ; 190-191

⁴ - Moreri(L), Le Grand dictionnaire historique, Tome I, éd., Jacques Vincent, Paris, 1832, p 671 ; Laurin(J.R), Orientations maîtresses des apologistes chrétiens: de 270 à 361, éd., Gregorian et AMP ; Biblical BookShop, 1954, p 157

⁵ - Renier(L), Inscriptions romaines de l'Algérie, éd., Imprimerie impériale, 1855, n°3136 « C(aius) Iul(ius) Victorinus.V(ixit)a(nnis) sexaginta. H(ic) s(itus) e(st). Iulii Vitalis et Arnobius patri Kariss(im)o Triturri » ; Renier(L), « Sur quelques inscriptions des villes de Thagaste et de Madaure », R.A.Vol.,XIV,1ère partie, 1857, p 130

⁶ - d'après Laurin(J.R), op.cit, p 147-149

خاصة وأنه يركز في كتاباته على خلود الروح وصبر المسيحيين على أذى الآخرين وقوتهم النابعة من إدراكهم بأنهم على حق وبأن دينهم هو الصحيح .
بعد تنصره ألّف كتابه ضد الوثنيين "Adversus gentes" دفاعاً عن المسيح والديانة المسيحية، ورَدَ الكتاب في سبعة أجزاء، يحتمل أنه قام بتحريره قبل 311 م وبعد أوائل ماي 305 م، باستثناء الكتاب الثاني الذي تمّ نشره سنة 297 م أو بعد ذلك بقليل¹ ؛ ويلاحظ الدارسين² لهذا الكتاب أن أرنوبيوس لم يحدد خصومه بذكر أسمائهم أو تحديد وظائفهم وهوياتهم على الرغم من أنه من خلال كلامه يتهم أشخاص معينين ومعروفين بالنسبة له ولغيره في وقته آنذاك، إنهم وثنيين يُحملون المسيحية مسؤولية الأوضاع الراهنة التي يعيشونها، ويقذفونها بمختلف النعوت، ويشّرون بالمسيحيين على أنهم غير مرغوب فيهم ويقذفونهم بغير المتدينين؛ وبالنسبة لأرنوبيوس هو حقد على المسيح غير مبرر وعلى أتباعه المضطهدين بشقى أنواع الاضطهاد، وهو في هذا الكتاب الأول والثاني يركز على انتقاد الوثنية بذكر نقائص وسخف آلهتهم، ولكن أكثر ما يحز في نفسه ويؤلمه هو أن هؤلاء الذين ينتقدهم ويتصدى لهم يؤثرون بأرائهم في بقية الوثنيين المحيطين بهم ؛ وجدير بالذكر أنه في كتابه الأول يدافع عن المسيحية أكثر من تركيزه على نظرياته عن خلود الروح، وينتهي بالفقرتين 64 و65 عن الاضطهاد ليركز على الدين في الكتاب الثاني ويرجع مرة ثانية لفكرة خلود الروح التي زرعها المسيح في أتباعه والتي لعلها تكون السبب في حقد المضطهدين على المسيحيين وفي متابعتهم .

يلاحظ بالنسبة للمبررات المعطاة وللمعلومات الواردة بالكتاب الثالث والرابع والخامس أنها متشابهة مع تلك التي وردت بالكتاب الأول ولا تختلف كثيراً³، حيث أنه يشير إلى أنه يستطيع ذكر كل المعلومات المتعلقة بمختلف الآلهة وأصولهم وطبيعتهم ليثبت لهم أنهم ليسوا بغير متدينين، ويُعتقد أن دفاع أرنوبيوس هو هجوم في حد ذاته حيث يبين أن الوثنيين غير رحيمين وبأنهم هم المتحرشين والمتسببين بسوء الوضعية المعاشة، وبالكتاب الرابع يركز على ولادة الآلهة وغرامياتهم ويستهزئ بهم مثيراً سخطهم ومستنكراً لوجودهم؛ ويتحدث في الكتاب الخامس عن الأساطير

¹ - Ibid , p 147-149 ; 152 ; 155

² - Ibid , pp 167 – 173

³ - Ibid , pp 176 – 185.

ويُفصل ما ورد فيها وينتقدها من خلال بعض الغرائب الأخرى الوثنية، أما بالكتاب السادس والسابع فيهاجم كل ما يتعلق بالمعابد وتمثيل الآلهة والتضحية لها وتقديم الهدايا وغيرها ويشدد لهجة الانتقاد للمعتقد الوثني بالكتاب السابع حيث يركز على التضحية بالحيوانات وتقديم البخور والخمر لها محاولاً بذلك وضع الخاتمة للمقارنة بين المذهب الوثني والمسيحي.

6 - نونيوس ماركيلوس "Nonius Marcellus" ¹ من خميسة (Thubursicu Numidarum)، عاش في نهاية القرن الثالث وبداية الرابع الميلادي، درّس النحو وكتب كتاباً وجهته لابنه بعنوان الموجز في التعليم "De compendiosa doctrina" وهو أشبه بالمعجم الذي يحتوي مقتطفات مختصرة من مؤلفات الكتاب والمتخصصين في المجال الذي يتناوله بالشرح والتفصيل أو بالدراسة، الكتاب مكون من 20 فقرة، يتحدث في 12 فقرة الأولى عن اللغة والنحو، وفيما يتبقى من الفقرات تناول الملاحظة، اللباس، الغذاء والأسلحة مع اقتباس مع التعرض لبعض المقتطفات ² من مؤلفات أخرى والإشارة إليها بدقة سواءً فيما يتعلق بذكر صاحب المقتطف المعتمد عليه أو بعنوان الكتاب الذي أخذ منه، ومن خلاله تمّ التعرف على مؤلفات بعض الكتاب الآخرين أمثال إنيوس "Ennius"، فارون "Varron"، لوكليوس "Lucilius" وغيرهم.

7 - ماركوس منيكيوس فليكس "Marcus Minucius Felix" من مواليد قسنطينة (Cirta)، ورغم أننا لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاده إلا أنه لا يستبعد أن يكون من رواد نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الميلادي ³، ألف كتاباً بعنوان أوكتافيوس "Octavius" ⁴، وهو عبارة عن حوار يمكن التعرف من خلاله على ثلاث شخصيات: الكاتب ماركوس وصديقيه الوثني كيكيليوس نتاليس "Cécilius Natalis" القاطن معه بمنزله، والمسيحي جانواريوس أوكتافيوس "Januarius Octavius" محامٍ وصديق للكاتب منذ الدراسة وجاء إلى روما لتمضية العطلة معه، بعدها اتجه

¹ Le Bohec(Y), op.cit, p 239.

² Havet(L), « Les manuscrits de Nonius Marcellus , grammarien latin de la fin du IIIe siècle » :ترجم من اللاتينية للغة الفرنسية من قبل لويس كشرات سنة 1872 , CRAI, n°2 , 1885 , p 132- 135 ; Delisle (L) ,« Introduction à la lecture de Nonius Marcellus , par Louis Quicherat » , Bibliothèque de l'école des chartes , 1872 , T.33 , p 515 – 516

³ - عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 72 : Le Bohec(Y), op .cit , p 171

⁴ - Minucius Félix , Octavius , traduction avec le texte en regard se des notes par Antoine Péricaud , 2ème edition , éd., Perisse Frères , Paris , 1843

ثلاثتهم لأوستيا (Ostie) للاستمتاع بالشمس ورؤية البحر، في طريقهم نحو الشاطئ، يمرون بتمثال الإله سيرابيس "Sérapis" مما يدفع بكيكيليوس إلى رفع يده نحو فمه ليرسل بقبلة للإله، وهو الأمر الذي جعل أوكتافيوس يغتاز من هذا التصرف الوثني وغير اللائق ويوجه اللوم والعتاب لماركوس المرافق لصاحبه داخل منزله وخارجه في ضلاله وعبادته للحجارة المجسمة والمعطرة والمزينة بالأزهار¹؛ هذا الكلام الموجه بطريقة غير مباشرة واتهام ماركوس باللامبالاة وعدم الاكتراث لجعل صديقه جرح مشاعر كيكيليوس وقرر الدخول في نقاش ومناظرة مع أكتافيوس يكون الحكم فيها مضيفهم ماركوس، غير أن هذا الجدل الديني والفلسفي بين الدين الوثني والمسيحية ينتهي بانتصار أوكتافيوس واقتناع كيكيليوس² أنه كان مخطئ بشأن معتقده ليعلن في الأخير أنه سيتنصر وأن نصر أوكتافيوس نصر له هو أيضاً باعتباراه عرف الحقيقة.

8 – ماركوس أولبيوس ماكربينوس "Marcus Opellius Macrinus" ولد بشرشال (Caesarea) سنة 164 م، بعد تدرجه في المناصب الإدارية بفضل ثروته استطاع الوصول ليحكم روما سنة 217 م غير أنه لم يحكم سوى 16 شهراً انتهت بقتله في جويلية 218 م، كان من المهتمين بالشعر³، غير أن ما كتبه من أبيات شعرية ضاع ولم يصلنا منه أي شيء.

9 – أمبليوس "Lucius Ampélius" من الكتاب الأفارقة وواحد من سكان شرشال (Caesarea) الذين عاشوا في القرن الثاني الميلادي⁴، كتب كتّيب مدرسي بعنوان المذكرة "Liber memorialis" في نهاية عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس (161 – 180 م)، وهو عبارة عن مجموعة ملخصات مصنفة بحسب المواضيع المتناولة والدراسة أو المقررة على المتدربين، ويظهر من خلال هذا الكتاب أنه ينبغي على المتلقي لهذا المستوى التعليمي أن يتعرف على خلق الكون بدراسة النظريات الفلسفية والدينية المتطرفة لهذا الموضوع، مع التطرق للجغرافيا ودراسة الأساطير وتاريخ العالم، وبهذا يتعرف المتدرب على العالم من حوله بشخصياته وشعوبه

¹ - Minucius Félix , II-III

²- bid , XL-XLI

³ - عبدالسلام بن ميس، المرجع السابق، ص 73 ; Monceaux(P) , op.cit , pp 358-359

⁴- Le Bohec(Y) , op.cit , p 170

ومختلف علومه قبل انتقاله لدراسة البلاغة والخطابة؛ وكل ملخص يشكل فقرة من فقرات هذا الكتيب البالغة 50 فقرة، فمثلاً بالفقرة الثامنة¹ نجده يتحدث عن العجائب الموجودة على الأرض بمناطق مختلفة "miracula quae in terris sunt" كأولومبيا وكورنثة وغيرهما من المناطق التي بها بعض الأشياء أو المعابد أو غيرها مما يثير الإعجاب ويصنفها بذكر المكان ثم الشيء المميز به وأحياناً يضيف إليه خاصية ما تثير الإعجاب أو الدهشة كما نرى بهذا الشكل على سبيل المثال:

7 أولمبيا "Olympia" المعبد المشهور لجوبيتر، حيث يتدرب الرياضيين.

8 كورنثة "Corentho" على الشاطئ ضلع كبير لحوت لا يستطيع أي رجل ضمه بذراعيه،

وبنفس المكان يوجد معبد فينوس الذي تتواجد به مزهريّة لا يوس "Laius"[♦] الرخامية.

15 لاسوس "Laso" تمثال جميل من الرخام لدينا موضوع في العراء، وعندما تُمطر السماء

لا يبتل التمثال.

10 - لوكيوس كايكيلْيوس فيرميانوس لاكتانتْيوس "Lucius Caecilius Firmianus Lactantius"²: ولد بقسنطينة (Cirta) حوالي 250، تتلمذ على يد أرنوبيوس واهتم بالنحو والبلاغة، كلفه الامبراطور قسطنطينوس "Constantinus" بتربية وتعليم ابنه الأكبر كريسبوس "Crispus"، اعتنق المسيحية سنة 300 م، ما كتبه قبل تنصره ضاع أما بعد ذلك فنجد من أهم كتاباته الأنظمة أو القوانين الإلهية "Diuinae institutiones"، كتبه في 7 أجزاء ينتقد فيها تعدد الآلهة ويشرح للوثنيين كيف أن العقل والحكمة تقتضي اتباع واعتناق المذهب المسيحي، وكتاب آخر حول موت المظطهدين "De Mortibus Persecutorum" وانتقام الرب منهم

¹ - Ampelius , Lib.Mem , 8,7;15 d'après Conso(D) , « Cohérence discursive et intégration syntaxique dans les notices des Libri Coloniarii » in Ordre et Cohérence en Latin: communications présentées au 13e Colloque international de Linguistique latine (Bruxelles-Liège, 4-9 avril 2005) , Volume 293 de Bibliothèque de la Faculté de Philosophie et Lettres de l'Université de Liège , éd., Droz , Belgique , 2005 , p 34

♦ - لا يوس ملك طيبة ووالد أوديب.

² - نفس المرجع، ص 76

بموتهم الشنيع، كتاب آخر عن غضب الرب "De ira dei" وآخر عن الإله الخالق "De Opificio Dei" كما ألف أيضاً المختصر في القوانين الإلهية "Epitome divinarum institutionum"، توفي سنة 325 م.

11 – القديس أوبتا الميلي "Optatus Episcopus Milevitanus": يدعى أحياناً باسم أوبتاتوس الأفريقي "Optatus Afer"، ولد حوالي 320 م بميلة (Milev)، أصبح أسقفاً لمدينته ومن أهم المدافعين عن المسيحيين في القرن الرابع الميلادي، كما يعتبر عدواً للدوناتيين¹، خلف وراءه كتابه ضد بارمينيانوس "Parmenianus" ومذهب الدوناتيين "De Schismate Donatistarum Adversus Parmenianum"، كتبه في ستة أجزاء ما بين سنة 364 و367 م رداً على ما نشره بارمينيانوس الأسقف القرطاجي الدوناتى للدفاع عن المذهب الدوناتى، أما الجزء السابع فكتب حوالي 387 م، وفي هذا الكتاب يدافع عن المذهب الكاثوليكي ضد المذهب الدوناتى.

12 – غودونتئوس "Gaudentius" ولد سنة 355 م بتمقاد (Thamugadi) وهو من كبار خطباء والمتكلمين باسم الدوناتيين، كتب القديس أوغسطين كتابين باسمه ورسالة بعنوان ضد غودونتئوس "contra Gaudentinum"، خلف أوبتا التيمقادي بعد انضمامه لثورة جيلدون، وهو واحد من السبعة محامين المتكلمين باسم الدوناتيين في مجمع قرطاج سنة 411 م، ويؤكد مونصو "Paul Monceau"² على أن غودونتئوس كتب ثلاثة أعمال يمكن معرفتها من خلال كتابات القديس أوغسطين وكذا ما كتبه ديلكتئوس "Dulcitius" الذي كلف عقب مجمع 411 م بتنفيذ القوانين ضد المنشقين في تمقاد، واحد أرسل به لأوغسطين رداً على كتابه الأول وهو ما دفع بأوغسطين للرد عليه بكتابه الثاني ضد غودونتئوس "ContraGaudentinum" وإثنان أرسل بهما لدليكتئوس، حيث يظهر من الأولى أنها قصيرة وكتبت باستعجال أما الثانية فتعد بالفعل وثيقة حقيقية تبين واجب الدوناتيين بضرورة الصمود أمام الاضطهاد ويشرح فيها للقضاة لماذا يصر على رغبته الاستمرار في تحصنه بكنيسته مع الأوفياء من الدوناتيين حتى لو اضطر للاحتراق داخلها.

¹ - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 210 – 211؛ عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 79

² - Monceau(P), « Les ouvrages de Gaudentius, évêque donatiste de Thamugadi (Timgad) au temps d'Auguste », CRAI, n°5, 1906, p 314

13 – إيميريتوس "Emeritus" ولد بشرشال (Caesarea) سنة 350 م، أصبح أسقفاً لها ابتداءً من سنة 385م، يعتبر واحداً من المشاركين والمحامين السبعة للدوناتية في مجمع قرطاج سنة 411 م، ومن الذين استرعوا انتباه القديس أوغسطين بفصاحتهم وقوتهم في الدفاع، ألف عنه سنة 416م كتابه: إلى الأسقف إيميريتوس الدوناتى بعد الترتيب "Ad Emeritum episcopum Donatistarum post Collationem"، غير أن هذا الكتاب من الكتب التي ضاعت ولكن وردت الإشارة إليه من قبل أوغسطين¹ في كتاب آخر له.

14 – ماكسيموس المداورشي "Maximus Madaurensis" خطيب ونحوي عاش في نهاية القرن الرابع الميلادي، ودرس بمداورش، كان صديقاً للقديس أوغسطينوس وممن يرسلونه ويراسلهم، خلف لنا رسالة كان أرسلها لأوغسطينوس "Epistola ad S. Augustinum" سنة 390 م، يعتبر من الوثنيين المتسامحين مع المسيحية والمسيحيين لأنه يرى أنه ليس هناك اختلاف ما بين آلهة الوثنيين وإله المسيحيين لأنه ورغم اختلاف الطرق في تكريم كلا الطائفتين المسيحية والوثنية لمعبودها إلا أن الغاية والهدف واحد فكلاهما يحب إلهه ويكرمه بالطريقة التي يراها مناسبة²؛ وفي رسالته لأوغسطينوس يدافع عن آلهة الوثنيين ويسخر من الأسماء الفنيقية لسهداء المسيحية ويتساءل عن إله المسيحيين، هذا الذي يروونه متواجداً في أماكن خفية بعكسهم هم الذين يحبون ويصلون ويقدمون الهدايا لآلهتهم في وضوح النهار³؛ ونجد أن القديس أوغسطينوس ردّ على رسالته برسالة أخرى⁴ يستهزئ فيها من آلهته الذين حسب فرجيليوس كانوا مجرد رجال أصبحوا آلهة، وفي نفس الوقت يدعوه إلى أن يطرح أشياء ومسائل تستحق النقاش وفي مستوى سنه وحكمته، وليس ترهات تحمل بين طياتها طرق نقدها وما يمكن دحضها به.

¹ - Saint Augustin , Rétractations , II , 46

² - Cherel(A), " Histoire de l'idée de tolérance " , Revue d'histoire de l'église de France , T.27, n°112 , 1941 , p 144

³ - Saint Augustin , Lettre XVI ; Raulx(M), Histoire de Saint Augustin in Oeuvres complètes de Saint Augustin , T.1 , éd.,Bar-Le-Duc,L.Guerin , 1864 , pp 57-58

⁴ - Saint Augustin , Lettre XVII

15 - القديس أوغسطينوس "Aurelius Augustinus"¹ هو أوريليوس أوغسطينوس ولد بسوق اهراس (Thagaste) يوم 13 نوفمبر 354 م، والدته مونيكاً "Monica" مسيحية ووالده باتريكيوس "Patricius" وثني، درس بمسقط رأسه ابتداءً من 361 م وانتقل سنة 365 م إلى مداورش (Madauros) لإكمال دراسته، ومرة أخرى رحل لقرطاج سنة 370 م لإتمام دراسته بفضل مساعدة صديق العائلة رومنيانوس "Romanianus" الذي تكفل بمصاريف دراسته بعد وفاة والده؛ تعرف سنة 371 م إلى خليلته التي لم يذكر اسمها، والتي وهبته ابنه أديودا "Adéodat"²؛ انضم إلى المانوية سنة 372 م وأصبح أستاذاً سنة 374 م في سوق اهراس ثم في قرطاج سنة 376 م، ارتحل إلى روما سنة 383 م ولميلان سنة 84 م، تخلى عن خليلته أم ابنه سنة 385 م بعدما خطب أخرى وبانتظار الزواج منها قام باتخاذ خليفة أخرى، وعُقد مع ابنه سنة 387 م، رجع إلى إفريقيا بعد وفاة والدته في أوستيا، حيث أصبح أسقفاً لعنابة (Heppo Regius) سنة 396 م.

تعلم القديس أوغسطينوس³ من ثقافة قائمة على أساس اعتبار الفنون الحرة السبعة أساس التكوين الفلسفي، وتتمثل تلك الفنون السبعة في علم اللغة والخطابة والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى، مع الإشارة إلى أن كلمة فن كانت تحيل آنذاك لمعنى العلم وظلت بهذا المعنى حتى عصر النهضة الأوروبية، وحررة لأنها لا تدرس بغرض الوظيفة مثلما نحن اليوم عليه وإنما التعلم لمجرد اكتساب العلوم لا غير، بالرغم من أننا خلال العهد الامبراطوري الأعلى نلاحظ أن الرغبة في الوصول لمرتبة ثقافية عليا وكتساب فنون وآليات الخطابة كانت بغرض الحصول على مرتبة اجتماعية راقية؛ ويلاحظ أن كتابات أوغسطين سيطرت عليها النزعة الفلسفية اللاهوتية ولعل ذلك ليس راجعاً لكونه رجل دين فحسب ولكن أيضاً لكونه مهتم بالعقل الذي يعتبره الأداة التي يصل بها الإنسان للحقائق المطلقة

¹ - Saint Augustin , Confessions , I , 9 ;II, 3 ; III,1 ; IV,4; IV , 7 ; V,8 ; VI, 3; VI,15;IX,6 ; IX,11 ; Madec(G), Portrait de Saint Augustin , éd.,Desclée de Brouwer , Paris , 2008 , p8-9 ; Salles(C), Saint Augustin , un destin Africain , éd.,Desclée de Brouwer , Paris , 2009 , pp 17-225 ; حفاوي بعلي "مدخل في إشكالية الأدب اللاتيني الأفريقي: دراسة مقارنة في التأثير والتأثير"، مجلة التواصل، العدد 4، 1999، ص 191 - 192

² - وُلد أديودا سنة 372 م وتم تسميته سنة 387 م مع والده أوغسطينوس، ويحتمل أنه توفي سنة 389 م وللمزيد من المعلومات أنظر:

Madec(G), op.cit , p 07

³ - عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 190-194

والمنزعة والبعيدة عن الرغبة البشرية، وباعتبار العقل ظاهرة إنسانية فهو يشكل قدرة الذهن على تناول العمليات الاستنباطية حيث الضرورة المنطقية هي معيار التماسك المنطقي.

يعرف عن أوغسطينوس مواجهته للدوناتية والمناوية والبلاجية، وقوله بنعمة الرب على الإنسان الحامل للخطيئة، وأن الخلاص لا يكون إلا بمعرفة الرب وإرادة الإنسان الحرة في اختياره، كما ألقى العديد من الخطب والمواظ طيلة حياته الكهنوتية، لديه الكثير من المؤلفات في مختلف المجالات، نذكر من أهم تلك الكتب التي ألفها قبل أن يصبح أسقفاً: ضد الأكاديميين "Contra Academicos" في ثلاثة كتب، والحياة السعيدة "De Beata vita" في كتاب واحد، والمناجاة "Sililoquiorum" في كتابين وفي هذا العمل يحاور نفسه، هو نفسه من يسأل ويجيب ليصل لحقيقة الأشياء من حوله وهو أشبه بالحوار بين العقل والأنا، أما النظام "De Ordine" فورد في كتابين وغير هاته الكتب كثير¹؛ ومن الكتب التي كتبها بعد ذلك نجد حرية الإرادة "De libero arbitrio" حيث كتب الكتاب الأول والثاني سنة 387 م أما الثالث فكان سنة 391 م، كما كتب أيضاً الاعترافات "Confessionum" في ثلاثة عشر كتاباً وقد بدأ في كتابته أواخر سنة 397 وبداية 398 م² وأنهاه سنة 400 م وفي هذا العمل وانطلاقاً من الكتاب الأول حتي التاسع يروي حياته منذ ولادته وتكفل المرضعات بإرضاعه حتى سن الثالثة والثلاثين، أما بالعاشر فيتحدث عن وضعيته الروحية أثناء تحريره للإعترافات، وبالكتب الثلاثة المتبقية فيحلل ويفسر الفقرات الأولى من سفر التكوين؛ ومن كتبه الهامة أيضاً مدينة الإله "De Civitate Dei" التي كتبها ما بين 410 و427 م، أما الثلاث "De trinitate" فبدأ في تحريره سنة 399 م وأنهى كتابته حوالي 419 م وهو مؤلف من 15 كتاباً، وتفسير من سفر التكوين "De Genesi ad litteram" في 12 كتاب محررة بين 401 و414 م³؛ كما كتب 270 رسالة "

¹ - Œuvres complètes de Saint Augustin traduites en français et annotées par Péronne, Ecalé, Vincent, Charpentier, et H.Barreau, Tome II, éd., Louis Vivès, Paris, 1870, pp 6 – 66

² - Monceaux(P), « Chronologie des œuvres de Saint Augustin », CRAI, 1908, pp 51- 53 ; Salles (C), op.cit, p 316

³ - Ibid, p 315

Epistulae " وما يقارب 400 خطبة وموعظة "Sermons" وتعاليق وشروح عن 150 من المزامير وغيرها من الأعمال الدينية اللاهوتية والفلسفية ومختلف إجاباته عن أسئلته المسيحيين في مختلف مجالات الحياة الإنشغالات الخاصة بهم وبالتعاليم المسيحية .

16 – ليسونتيوس "Licentius" من سوق اهراس (Thagaste)، ابن رومانيانوس "Romanianus" الثري الذي تكفل بدفع تكاليف دراسة أوغسطينوس بعد وفاة والده، ويعتبر ليسونتيوس أحد تلامذة القديس أوغسطينوس الذين سافروا معه إلى كاسياسياكوم "Cassiciacum" الواقعة شمال ميلان²، أصبح شاعراً وواحداً من أصدقاء أوغسطينوس الذين راسلوه باستمرار ومنها تلك الرسالة التي أرسلها هذا الأخير سنة 395 م³ يرد على الأبيات الشعرية التي أرسلها له ليسونتيوس.

17 – بتيليانوس "Petilianus"⁴ هو واحد من مواليد قسنطينة (Cirta) سنة 365م، من الدوناتيين المعروفين ببلاغتهم وموسوعية علمهم وكذا بتطرفهم، أسقف قسنطينة الدوناتية ومن المشاركين والمحامين السبعة للدوناتية الذين شاركوا بمجمع قرطاج سنة 411 م، كتب كتابه: رسالة إلى الدوناتيين ضد قساوسة وشمامسة الكاثوليك "Epistula ad presbyteros et diaconos donatistas adversus catholicam" وتناول فيه المسائل الجوهرية للدوناتيين، والتعميد الثاني، أسباب الإنشقاق، الإضطهادات وفضاعة الكاثوليك، مع استشهاد بدقة بما ورد في الكتاب المقدس أثناء كتابة فقرات كتابه البالغة 64 فقرة، وأنهى كتابه هذا بتقديم المواعظ للدوناتيين وإرسال اللعنة على خصومهم ومناوئهم؛ كما ردّ أيضاً على كتاب أوغسطين: ضد رسائل بتيليانوس "contra litteras petiliani" برسالته إلى أوغسطينوس "Epistula ad Augustinum"، وقد اعتبر من أشد المناوئين لأوغسطين لأنه في بعض المقتطفات من هاته الرسالة التي يصب اللعنة فيها عليه ينعتة بالمانوي،

¹ - Ceillier(R), Histoire générale des auteurs sacrés et ecclésiastiques, éd., L.Vivès , Paris , 1861 , pp 235-244 ; Omont (H) , « Découverte des fragments sur payrus des lettres et sermons de Saint Augustin » , Bibliothèque de l'école des chartes , Vol.,79 , 1918 , p 502

² - Tournaire (R), GENÈSE DE L'OCCIDENT CHRÉTIEN, éd.,l'Harmattan , Paris , 2002 , p 293

³ - Saint Augustin , Lettre XXVI

⁴ - Monceaux(P),« La littérature donastique , les ouvrages de Petilianus » , CRAI , n°4 , 1906 , pp 226-228 ; عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 82 ;

والمُعْتَبَر المتخاذل، المتحرر، والمشعوذ وحتى بالمُذْنَس والمنتهك للمقدسات، وعُثِر أيضاً على أجزاء من رسالة ثانية أرسل به لأوغسطين، وكتاب التعميد الوحيد "De unico baptismo" وكذا خطبه التي ألقاها في مجمع قرطاج سنة 411م والتي في بعض منها يرد على ما يلقي به أوغسطينوس من خطب في المجمع.

18 – مارسيانوس كابيلا "Martianus Capella"¹ من رواد القرن الخامس الميلادي ولد بمداورش ثم رحل لقرطاج، عمل بالمحاماة ومن الوثنيين المحبين للأفلاطونية، ومن مؤلفاته زواج عطار أو ماركير بالفيلولوجيا "De nuptiis Philologiae et Mercurii" وهو عبارة عن قصة كتبت بالمزج بين النثر والشعر ما بين سنة 410 و439م في تسعة كتب، تحكي رغبة ماركير في الزواج، ومن ثمة يفكر اختيار صوفيا "Sophia" ثم مانتيسي "Manticé" ثم بيسي "Psyché" اللواتي عدلن عن الأمر لعدة أسباب، غير أن أبولون يقترح عليه الزواج من فيلولوجيا "Philologia" الفانية بصفتها غير خالدة، ويوافق على الأمر بشرط أن تمنح التأليه قبل صعودها لمصاف الآلهة، ويبدأ في الكتاب الثاني رواية تحول فيلولوجيا للتأليه حيث يتوجب عليها أن تصبح أخف قبل أن تنتقل من الأرض وتلتحق بمجمع الآلهة، وما أن تصل فيلولوجيا للأعلى يهدمها ماركير سبعة فتيات، كل فتاة تمثل فناً من الفنون وكل واحدة منهن ستقدم نفسها في متاب من الكتب السبعة المتبقية، حيث نجد الثالث يتحدث عن النحو، الرابع عن المنطق، الخامس عن البلاغة، السادس عن الهندسة، السابع عن الحساب، الثامن عن الفلك والتاسع عن الموسيقى.

19 - كاسيوس فليكس "Cassius Felix"² من قسنطينة (Cirta) ألف كتابه حوالي 447م عن الطب "De medicina".

20 – بريسيانوس "Priscianus Caesariensis": من نحويي نهاية القرن الخامس وبداية السادس الميلادي، ولد في شرشال (Caesarea)³ سنة 470م، واستقر

¹:84 - Préaux(J), « Le Culte des muses chez Martianus Capella », Mélanges de philosophie, de littérature et d'histoire ancienne offerts à Pierre Boyancé. Collection de l'École française de Rome 22, Publications de l'École française de Rome 1974, p. 579-614 ; Capdeville (G), "Les dieux de Martianus Capella", Revue de l'Histoire des Religions, T.213 n°3, 1996, pp 251 – 299

²- Le Bohec(Y), op.cit, p 239

³- Baratin(M), et d'autres chercheurs (Groupe Ars Grammatica), Le De Adverbio de Priscien, Histoire,

بالقسطونطينية حيث اشتغل بالتدريس من 491 حتى 518م، وكفل بإدارة مدرسة لاتينية شهيرة سنة 525 م، كتب كتابه عن قوانين أو قواعد النحو Institutiones grammaticae "لموجه للمعلمين والمربين والمؤلف من 18 جزء، وقد أراد من خلاله التجديد في عملية تلقين النحو اللاتيني باعتماد علم النحو الإغريقي والتعرف على طرق تركيب الجملة مع مراعاة حالات الإعراب فيها ومقارنتها بطرق تركيب الجملة اللاتينية، ومن ثمة عمل على اتباع منهجية تعليمية توضيحية بالكثير من الأمثلة من خلال كتابات فرجيل "Publius Vergilius Maro"، القرطاجي تيرانس "Publius Afer Terentius"، بلوت "Titus Maccius Plautus"، سيسرون "Marcus Tullius Cicero"، جوفينال "Decimus Iunius Iuvenalis"، لوكان "Marcus Annaeus Lucanus"، هوراس "Quintus Horatius Flaccus" وآخرين من الإغريق كثيرين.

ويلاحظ أنه خصص كل جزء من أجزاء كتابه قواعد النحو لدراسة جانب من جوانب اللغة والصرف ومختلف الحالات التي يحدث فيها تغير الفعل أو الإسم مع عدم إهمال الصوتيات أثناء النطق ودلالة مع فئات الكلمة وحالات الاشتقاق وعملية بناء وتركيب الجمل ويمكن تقديم ما ورد في كل جزء كالآتي¹:

- I - النطق والكلمة.
- II - الحرف - الكلمة - دلالة النطق - المنطوق - الإسم.
- III - المقارنة وصيغ التفضيل - إسم التصغير.
- IV - المشتق من الإسم.
- V - جنس الإسم من حيث التذكير والتأنيث - العدد «الشكل» (التركيب) - الحالة.
- VI - الإسم والمضاف إليه.
- VII - حالات أخرى مستترة.
- VIII - الفعل ومختلف حالاته وتحولاته.
- IX - إعراب الأفعال.

و نشير إلى أن البعض يشكك في كونه من قيصرية موريطانيا ويذهب إلى أنها مدينة قيصرية ، Epistémologie , Langage , 2005 , p 7 ;

بفلسطين ولكن فريق فن النحو بإشراف مارك براتان يؤكد على أنها قيصرية الموريطانية أي شرشال الحالية، Ibid , p 7 n°1

¹ - Bernard(C), La grammaire latine en France, à la Renaissance et à l'âge classique: Théories et pédagogie, éd., Ellug , Grenoble, 1999 , p 23-24

- X - تَشَكُّل الفعل التَّام.
- XI - اسم الفاعل والمفعول.
- XII - XIII - الضمير.
- XIV - حروف وأدوات اللغة.
- XV - الظروف واللواحق المكملة للكلمات لتركيب الجمل.
- XVI - الروابط.
- XVII - الصرف والنحو عند أبولونيوس "Apollonius Dyscolus" ♦ .
- XVIII - تركيب الجمل والضمائر.
- De figuris ومن مؤلفاته الأخرى نذكر¹: كتاب حول الصفات الرمزية للأرقام "De metris fabularum" وآخر عن بحور قصائد تيرنتيوس "Praeexercitamina"، وكذا كتاب التمارين الأولية "Terentii"، دون أن ننسى Institutio de nomine et pronomine et verbo الضمير والفعل "التحليل الإحصائي لمقاطع الإثنا عشر بيتاً من مدخل القصيدة للإلياذة" "ولا يعرف تاريخ Partitiones duodecim versuum Aenaidos principalium وفاته بالضبط إلا أنه لا ينبغي الخلط بين بريسيانوس النحوي القيصري وبريسيانوس الفيلسوف الأفلاطوني الأثيني الذي هاجر لليديا الواقعة على البحر الإييجي بآسيا الصغرى، وثيودوروس بريسيانوس الطبيب الإغريقي الذي عاش في القرن السابق له.

♦ ♦ - أبولونيوس ديسكولوس نحوي إغريقي من الإسكندرية عاش في القرن الثاني الميلادي وعاصر فترتي الامبراطورين هادريانوس وأنتونينوس.

¹- Baratin(M), et d'autres chercheurs (Groupe Ars Grammatica) , op.cit , p 7-8